

الأدب العربي رافد للمناهج التعليمية: المضامين الأخلاقية والقيم الجمالية والمزايا السلوكية

أ.م.د/ سمية بلقاسم هنشيري

(استاذ مساعد قسم اللغة العربية وآدابها ، الجمهورية التونسية)

تاريخ النشر: نُشر إلكترونياً بتاريخ ١ يناير ٢٠٢٦ م

الملخص :

يهدف هذا البحث إلى إبراز الدور المحوري للأدب العربي بوصفه رافداً أساسياً من روافد المناهج التعليمية التربوية، لما يحمله من مضامين أخلاقية وقيم جمالية ومزايا سلوكية تسهم في بناء شخصية المتعلم بناءً متوازناً ومتكاملاً. وينطلق البحث من مدخل نظري يبيّن دواعي الاعتماد على الأدب العربي في البرامج التعليمية، لما له من أثر فعال في تنمية المهارات اللغوية والتواصلية، وتعزيز قدرات التعبير الشفوي والإنتاج الكتابي، وتنمية التفكير النقدي والحجائي لدى المتعلمين. كما يسلط الضوء على القيم التربوية والإنسانية التي يغرسها الأدب العربي، سواء المرتبطة بالبيئة الثقافية العربية والدينية، أو تلك القيم الإنسانية المشتركة التي تعزز الانتماء والهوية والانفتاح على الآخر. ويؤكد البحث على وجود علاقة وظيفية وتكاملية بين الأدب والمناهج التعليمية، حيث يشكل الأدب بمختلف أجناسه وتياراته مشتركاً ثقافياً عاماً في البرامج التعليمية العربية، خاصة في المرحلة الثانوية، بما يحقق الأهداف التربوية والإنسانية للمناهج ويسهم في إعداد متعلم واع، مبدع، وقادر على التفاعل الإيجابي مع مجتمعه.

الكلمات المفتاحية:

(الأدب العربي، المناهج التعليمية، القيم الأخلاقية، القيم الجمالية، بناء شخصية المتعلم)

Abstract :

This study aims to highlight the pivotal role of Arabic literature as a fundamental source of educational curricula, due to its ethical contents, aesthetic values, and behavioral advantages that contribute to shaping a balanced and integrated learner personality. The research adopts a theoretical approach to explain the motives for incorporating Arabic literature into educational programs, emphasizing its effectiveness in developing linguistic and communicative skills, enhancing oral expression, written production, and critical and argumentative thinking. The study also sheds light on the educational and human values embedded in Arabic literature, whether those rooted in Arab and religious culture or universal human values that promote identity, belonging, and openness to others. Furthermore, the research confirms the existence of a functional and integrative relationship between literature and educational curricula, as Arabic literature, with its various genres and trends, represents a shared cultural foundation within Arab

educational programs, particularly at the secondary level. This integration supports educational and human objectives and contributes to preparing a conscious, creative learner capable of positive social interaction.

Keywords:

(Arabic Literature, Educational Curricula, Ethical Values, Aesthetic Values, Learner Personality Development)

مدخل نظري: دواعي البحث

يعتبر الأدب العربي رافداً من روافد المناهج التعليمية التربوية العربية لأهميته في غرس القيمة المثلى لدى الناشئة ودوره في مساعدة المتعلم على إجادة الوصف والتوصيف من خلال تعامله مع النصوص إضافة إلى مساهمته في إكساب المتعلمين عديد المهارات التي تساعده في حياته وتعامله مع الآخرين مهما كانت الوضعيات والمقامات كمهارة التعبير والكتابة والتواصل الشفوي والتزود بفن الخطابة والجدل والحجاج في سياقات الحوار ثنائياً أو جماعياً. أي أنه يمكنه من عديد القدرات التواصلية والمعرفية والمنهجية.

أما من حيث القيم التربوية فهذه المناهج تتخذ الأدب مرجعاً لتنمية المكتسبات اللغوية لدى المتعلمين ولغرس عديد القيم منها ما هو مرتبط بالبيئة العربية ومخزونها القيمي الديني ومنها ما هو إنساني يمثل مشتركاً عاماً بين المجتمعات والأمم تأكيداً لإنسانية الإنسان ودوره التأسيسي في هذا الكون.

لذلك حرصت المناهج على النهل من الأدب العربي شعراً ونثراً، مقامة ونادرة، سيرة ذاتية وأقصوصة. أي من مختلف الأجناس الأدبية والأشكال الشعرية والفنون التعبيرية كي ترسخ في المتعلمين المبادئ الأساسية التي تعدّ أهم عناصر الشخصية المتوازنة، الناجحة والخلاقة دون أن ننسى دور اللغة في تزويد التلاميذ بمهارات التواصل الشفوي والإنتاج الكتابي إذ تنمي مكتسباتهم وتعرفهم بالقيم الأصيلة كما تعرفهم بالخصال المحمودة والعادات الموروثة مذ كان الإنسان يبحث عن وسائل تجعله مندمجاً في مجموعات منتصية إلى موروث ثقافي غني بالقيم.

فلأدب دور أساسي يفيد الطالب في كل مراحل تعلمه وهذا ما جعل أساتذة المناهج وعلماء النفس والاجتماع يستندون إليه في كل البرامج التعليمية والمناهج التربوية لكل الفئات العمرية حسب أهداف مميزة وإجرائية تراعي احتياجات المتعلمين المهارية والذوقية والفكرية والعاطفية..

يوجد تواسح علائقي وظيفي بين المناهج والأدب، في البرامج التعليمية العربية ذلك أن الأدب بكل أنواعه وأشكاله وتياراته وحقبه يمثل المشترك العام بين المتعلمين في مختلف الدول العربية مهما اختلفت برامجها.

لذا ارتأيت أن أتناول هذا المبحث لأهميته دور الأدب في المناهج التعليمية والتصورات التربوية والأهداف الإنسانية من خلال نماذج وأمثلة وشواهد نصية تتعلق ببرامج المرحلة الثانوية أساساً. فكل النظريات المدرسية التعليمية مستمدة من منتج أدبي جماعي ورصيد ثقافي وتيارات فكرية أسهمت في تطوير فلسفة البرامج وحفزت على تملك مجموعة من القيم الأخلاقية والسلوكية والفكرية والجمالية باعتبارها تساهم في نحت شخصية المتعلم وتأسيسها ضمن منظومة تربوية تحث على ما هو أصيل ونبيل من مضامين قيمية مدمجة في كل المقاربات للبرامج المتنوعة بل تعدّ أحد أهدافها المميزة أثناء فترة الدراسة والتعليم.

سندات البحث

* سفر البرامج الرسمية

* الكتاب المدرسي:

- آفاق أدبية لتلاميذ السنة الأولى من التعليم الثانوي: المركز الوطني البيداغوجي.
- الكتاب المدرسي عيون الأدب لتلاميذ السنة الثانية من التعليم الثانوي.
- كتاب النصوص لتلاميذ السنة الثالثة من التعليم الثانوي: آداب.
- كتاب النصوص " علامات " لتلاميذ السنة الثالثة من التعليم الثانوي: شعب علمية.
- كتاب النصوص لتلاميذ السنة الرابعة من التعليم الثانوي: آداب.

- كتاب النصوص " رؤى " لتلاميذ السنة الرابعة من التعليم الثانوي: شعب علمية.

إشكاليات البحث

فماهي القيم التربوية التي تضمنتها برامج تدريس الأدب للمرحلة الثانوية بكل مستوياتها في تونس؟
أين تبرز علاقتها بمفهوم التعلم وتكوين التلميذ المعرفي والسلوكي؟
وما مدى نجاح هذا التوجه الهادف في إرساء منظومة قيم جامعة؟

مفهوم النصّ التعليمي

هو النصّ الذي يتضمّن قيما تربوية تعليمية سواء كان نصّا شعريّا أو نثريّا ويتعامل المتعلّم مع هذا النصّ بأنشطة متنوّعة: إلقاء وأداء وكتابة أثناء حصص الدرس. ويحتوي هذا النصّ أفكارا وقيما تمثّل له جانبا كبيرا من التّحصيل المعرفي الذي يثري شخصيته ويساهم في تكوينها تكوينا علميا سليما إضافة إلى توفير جانب آخر من الإمتاع المفيد. وقد أقرّ القدامى بفوائد النصّ التعليمي كما ذهب إلى ذلك ابن فارس (٥٣٩٥) في كتابه الصحاحي في فقه اللّغة: " والشعر ديوان العرب وبه حُفِظت الأنسابُ ، وعُرفت المآثرُ ومنه تُعلّمت اللّغة " (١).

والنصوص التعليمية المختارة هي أساس تعليم التلميذ وتكوينه حسب أسس منهجية وعلمية ونفسية باعتباره هو مجموعة انفعالات تشكّل شخصيته الإنسانية ونجد أنّ ابن خلدون(٥٨٠٨) قد رأى هو الآخر أنّ الشعر والنثر لهما دور في تعلّم اللّغة و إنتاج التربية الشاملة " إلا أنّ اللغات لما كانت ملكات كما مرّ كان تعلّمها ممكنا، شأن سائر الملكات ووجه التّعليم لمن يبتغي هذه الملكة ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول الشعراء في أسجاعهم وأشعارهم " (٢).

وتدريس النصّ في حصص الدرس يكون هو المنطلق والمحور الذي تُستمدّ منه مجموعة من القيم وتتأسس مجموعة من المهارات وهو المحور الذي يشدّ الأنشطة الأخرى إلى بعضها في تناغم دالّ يفيد المتعلّم ويزوّده بعدديد المعارف الصوتية والأسلوبية والمضمونية.

وتمكّنتنا مقارنة النصوص من اكتشاف عديد القيم التي تضمنتها محاور التدريس ومن شأنها أن تزوّد المتعلّم بمعارف قيمية وكفاءات عديدة.

الأدب والقيم

مفهوم القيم

لغة:القيمة لغة مشتقة من فعل قام ومعناها في المعجم الوسيط: القيمة هي قيمة الشيء قدره، وقيمة المتاع ثمنه ومجموعها قيم ، ويقال لفلان قيمة أي له ثبات ودوام على الأمر.

وفي معجم لسان العرب لابن منظور(١٩٩٧م:٥٠٣) تحت باب جذر " ق و م " ورد تعريف القيمة كما يلي " والقيمة واحدة القيم وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء والقيمة ثمن الشيء بالتقويم " (٣).
كذلك ورد في اللسان " ... وإذا انقاد الشيء واستمرت طريقته فقد استقام لوجهه " (٤).

اصطلاحا: مفهوم القيم هو من المفاهيم التي اهتمّ بها علماء الفلسفة والتربية والاجتماع والنفس ووجدنا لها عديد التعريفات منها ما عرّفه بريخ أشرف عمر (٢٠٠٠م) : "القيم التربوية هي مجموعة من المعايير التي تتسم بالثبات

(١) : دلالة النصّ وعلاقته بالقيم التربوية،أ، عمر بوشنة جامعة الجزائر، مجلة آفاق علمية العدد ١٢، ديسمبر

٢٠١٢، ص ٣٣

(٢): نفس المصدر، ص ٣٣

٣: لسان العرب لابن منظور ، الجزء ١٢ ص ٥٠٠

٤: نفس المرجع ، الجزء ١٢ ، ص ٥٠٠

والاستقرار النسبي والتي يعتزّز بالتمسك بها والتي يسعى المرثون إلى غرسها في وجدان التلاميذ من خلال المنهج المدرسي، وتمثل الأنموذج الذي يجب أن يلتزم به النشء تحقيقاً للأهداف التعليمية المنشودة^٥. وهناك من ربط مفهوم القيم بالغايات السلوكية للفرد باعتبارها تجعل الفرد منتما منخرطاً في مجالات الحياة واهتماماته وذكر الباحث لظفي أحمد بركات في المعج التربوي " يقصد بالقيم في المعجم التربوي مجموعة من القواعد والمقاييس الصادرة عن جماعة ما، ويتخذونها معايير للحكم على الأعمال والأفعال، ويعتبر أي خروج عنها بمثابة انحراف عن الجماعة ومثلها"^٦. نعني بالقيم مجموعة المعايير الأخلاقية والسلوكية والمبادئ العامة التي تمثل مرجعاً للإنسان ينهل منها معارفه ويستمدّ من خلالها عقد تواصله مع الآخرين عائلة ومجتمعاً وزملاء أي هي المكتسبات التي يتلقاها الشخص منذ طفولته من العائلة ومن برامج التدريس العامة في كلّ مراحل التعلّم. وإنّ الأدب العربي حفل بقيم جماعية عامة مشتركة انخرطاً في قنوات ومواقف وسلوكيات دأب على توظيفها في مناهج التدريس ذلك أنّ لها دور في تكوين المتعلّم. ويعني هذا أنّ القيم مرتبطة بما هو اجتماعي من أخلاق نحكم من خلالها على مدى صلاح الأفعال و رقيّ السلوك لذلك تسعى المنظّمات والبرامج الدراسية إلى التّغيب فيما هو صالح منها والتّغيب ممّا هو ضارّ فالقواعد الأخلاقية تساهم في بناء الحضارات وتطوّر المجتمعات وتوازن الأفراد. القيم هي مجموعة المعارف السلوكية والمعايير الأخلاقية التي تحدّد نوع التّعامل بين الأفراد والجماعات البشرية. وفي بعدها التعليمي تعتبر أسس العمل التربوي وتمثّل مصدراً من مصادر أهداف البرامج التربوية كما تمثّل أحد العناصر الأساسية لثقافة أيّ مجتمع لارتباطها بالسلوك الإنساني أفعالاً ومواقف وهذا ما جعل علماء التربية والباحثين يدرجونها ضمن المنظومة التربوية والمناهج المدرسية في كلّ مراحل تعلّم الطّفل والمراهق بمختلف تجلياتها وأهدافها وفلسفاتها.

ويعدّ الكتاب المدرسيّ مصدراً لنيل المعرفة و لتبيّن القيم المنصوص عليها في الأهداف المميزة كما يمثّل سندا تعليمياً ييسر عملية التّفاعل والتّلقّي والتّقبّل حسب المناهج المعتمدة في التّدرّس تماشياً مع احتياجات المتعلّم في كلّ مرحلة عمرية لذلك يساعدهم على تحصيل معرفيّ قيميّ ويساهم في توجيه نشاط التعلّم والتّعليم. وأقرّ دهلال محمّد علي السّفياني " تُعنى اللّغة العربيّة ومناهجها بالقيم، وتعمل على ترسيخها لدى الطّلبة لأنّها تحرص على الاهتمام بالموروثات الثقافيّة وتعتمد عليها بوصفها شواهد ذات بعد ديني، وقوميّ ومجتمعيّ و وطنيّ كما تؤدّي إلى تهذيب عادات الطّلاب والسموّ بأخلاقهم وتزويدهم بما يحتاجون إليه من فضائل"^٧. ومن هنا يمكن أن نعتبر أنّ الكتاب المدرسيّ وثيقة تعليمية نستمدّ منها الأهداف المقرّرة. واهتمّ علماء التربية في الأبحاث التربوية والدراسات الأكاديمية بالقيم في مختلف أنشطة التعلّم مثل القراءة والتّعبير والتّواصل الشفويّ والمطالعة لقناعتهم بأهميتها في تشكيل شخصيّة الطّفل وأكّدوا قيمتها في مراحل نموّه وإدراكه المعرفيّ إضافة إلى تأثيرها.

في مشاعره و سلوكه. بل هي توجه السلوك الفرديّ والجماعيّ في نسيج تفاعليّ علائقيّ ينزل منظومة القيم من النظريات الاجتماعيّة والفلسفيّة إلى مجال التّطبيق والتّثبيت بتحقيق الإشباع العاطفيّ والروحيّ وقد نصّ أيضاً علماء الجمال على دور القيم في تأصيل الجماليات السلوكية لدى الطّلاب في البيئة أو المدرسة أو المعهد. ونحن في مجتمع دأب على التمسك بالقيم العربيّة الإسلاميّة الأصيلة التي تعدّ رافداً لكلّ مناهج التّعليم التي تركز على أن يكون التّلميذ هو محور العمليّة التربوية من خلال تزويده بأخلاقيات القول والفعل في تواصله مع الآخرين.

^٥: القيم التربوية المتضمنة في كتاب اللّغة العربيّة للصفّ الأول الثّانوي بالمملكة العربيّة السعوديّة، د زكيّة صالح المالكي، ص ٢٢٢

^٦: التربية على القيم في التّعليم الثّانوي الإعدادي: اللّغة العربيّة نموذجاً، عز الدين المعتمصم: ص ٦٣

^٧: د هلال محمّد علي السّفياني، دور اللّغة العربيّة وأثرها في مجال التربية والتّعليم، مجلّة الأندلس للعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، العدد ٩٠، مارس ٢٠٢٤، ص ١٧٨

وأكدت د زكية صالح صالح المالكي: " وتعدّ القيم واحدة من أهم مقومات المجتمع، بل هي من أهم أهدافه ووظائفه ، حيث يحكم النظام القيمي توجهات المجتمع وسلوكيات أفراده"^٨.
فلا مزية لبرنامج تعليم دون مضامين أخلاقية أو دون توجه تربوي قد تتغير سندهات النصية لكنه يبقى من الأهداف الإجرائية .

يمكننا أن نبوّب القيم التربوية إلى مجالات:

- مجال القيم الأخلاقية

- مجال القيم الوطنية

- مجال القيم العقلية

- مجال القيم الإنسانية

أهداف القيم التربوية

نصت برامج الأدب في كلّ مراحل التعلّم وكلّ محاور التدريس على مجموعة من الأهداف المميزة التي تفيد الطالب ومنها:

- إرشاد المتعلّم إلى سلوك أخلاقي يشكّل جزءاً من بناء شخصيته.

- تنمية السلوك الحضاري لدى المتعلّم بجعله ينخرط في منظمة قيم جامعة تمثل عقدا اجتماعياً يساهم في تحقيق التّواصل النّاجع والاستقرار المثمر.

- تمكين المتعلّم من التزوّد بقيم هي أساس العملية التربوية في ظلّ مؤثرات أخرى تسعى إلى هدم كلّ ما هو سليم من أخلاق ومبادئ.

١: القيم الأخلاقية

* **الوفاء**

حرصت المناهج التعليمية على إدراج الشعر الغزلي في برامج التعليم الثانوي باعتباره أوّل منتج أدبي قولّي أنتجه العرب منذ الجاهلية احتفى بعدد القيم ومجدها باعتبارها تمثل عقدا أساسياً في علاقة الشاعر ببيئته أو علاقة الشاعر بأهله وأحببيته ونجدها ماثورة في أغلب القصائد المدحية والغزلية أساساً. وهذا ما وجدناه إجرائياً نصياً في الكتاب المدرسي " أفق أدبية " لتلاميذ السنة الأولى من التعليم الثانوي في المحور الأول " شعر الغزل " إذ تغنى جميل بن معمر بقيمة الوفاء لحبيته بثينة قائلاً:

أبي القلب إلا حُبّ بثينة لم يُرد ***** سواها وحُبّ القلب بثينة لا يُجدي^٩

مبيّناً صدق مشاعره وعدم خيانتها واستبدالها بمعشوقة أخرى.

ضمنت لها أن لا أهيّم بغيرها ***** وقد وثقت منّي بغير ضمان^{١٠}

ويعدّ الوفاء قيمة أخلاقية عربية يحتاج المتعلّم أن يتعلّمها بعيداً عن الحسيّ والماديّ. بل تتجسّد هذه القيمة عندما يدعو الله :

وجاور إذا ما متّ بيني وبينها ***** فيا حبّذا موتي إذا جاورت قبيري^{١١}

عاقدا صلة روحانية بين المحبّ والحبيبة في الدنيا والآخرة ممّا يؤكد حبّه المثاليّ لها.

فالوفاء لدى الشاعر العذريّ قيمة مطلوبة ومحمودة تبرز أخلاقيات الشاعر العذريّ والتزامه بصون تلك العلاقة وحمايتها من كلّ المؤثرات والمعرفلات. فهو وفيّ لعدهه ثابت على موقفه.

* **الصدق**

^٨: القيم التربوية المتضمنة في كتاب اللغة العربية للصفّ الأول الثانوي، د زكية صالح صالح المالكي، ص ٢١٧

^٩: الكتاب المدرسيّ للسنة الأولى من التعليم الثانوي ، ص ٢٠

^{١٠}: نفس المصدر ، ص ٣٥

^{١١}: نفس المصدر ، ص ٣١

زخر الأدب العربي بقيمة الصدق ومجدها الأدباء في مختلف أجناس القول والكتابة لترغيب المتعلمين فيها باعتبارها من القيم الأصيلة النافعة التي تبرز معدن الإنسان وحرصه على العمل بها وتطبيقها قولاً وفعلاً. ونجد لهذه القيمة حضوراً في محور الحكاية المثلية لعبد الله بن المقفع المدرجة في برنامج السنة الأولى من التعليم الثانوي. فقد صاغها ابن المقفع في أحداث الحكاية المثلية وأجراها في حوار الشخصيات وحجاجها الاستدلالي البرهاني ففي باب " دمنة في مجلس القضاء " أمر القاضي الحاضرين والشهود بقول الحق والصدق في التصريح بالشهادة حتى لا يتسرب ظلم في حكم ولا تزيّف حقيقة في قول " إته من أعظم الخطايا قتل البريء الذي لا ذنب له بالكذب والتميمة/ ومن علم من أمر هذا الكذاب الذي اتهم البريء بكذبه ونميمته شيئاً فستر عليه فهو شريكه في الإثم والعقوبة "١٢. فالخطاب هنا اتخذ منحى الحث والتضيض على قول الحق من جهة وتهديد السآكت عنه من جهة أخرى ترغيباً وتنفيراً.

وقد ورد هذا اللفظ " الصدق " في ملفوظ المتحاورين أيضاً لإبراز قيمة الصدق في تحقيق العدل : (قال دمنة: أخبرني الأمين الصدوق عندي ...)١٣ وفي المقامة الحلوانية محور " فنّ المقامة " طلب صاحب الحمام من عيسى بن هشام. " يارجل لا تقل غير الصدق ولا تشهد بغير الحق "١٤ رغم أن السياق كان هزلياً

*** الكرامة:**

تعدّ الكرامة من القيم المنصوص عليها في برامج التعليم ذلك أنها تعزّز مفهوم الاعتزاز بالنفس والاعتداد بالذات. وسعت محاور التدريس إلى ترسيخها وترغيب المتعلمين فيها للإحساس بالافتاء والثقة في النفس والقناعة وقت الحاجة وعد التذلل لأي طرف مهما كانت مرتبته فالذات البشرية أعلى وأعزّ من كلّ الماديات. وقد تبيننا أن الشعر الوطني تعنى بها استنهاضاً لهمم الإنسان وتحفيزاً له للثورة ضدّ المستعمر الظالم . وكان أبو القاسم الشابي من شعراء الشعر الوطني المحترفين بالكرامة داعياً ابن أمّه إلى رفض الذلّ والعيش عزيزاً مستغرباً من تهاونه ورضاه :

" فمالك ترضى بذلّ القبيد ***** وتحنّي لمن كبلوك الجبّاء؟"١٥
داعياً إياه إلى العيش في النور بدل الكهوف.
ونجد في معلقة عمرو بن كلثوم إشادة بالكرامة في خطاب فخريّ جماعيّ:
" ونحن الحاكمون إذا أطعنا ***** ونحن العازمون إذا عصينا
ونحن التاركون لما سخطنا ***** ونحن الآخزون لما رضينا"١٦
واحتفى عنتر بن شدّاد في قصيدة له وجدناها في الكتاب المدرسيّ القديم للسنة الأولى ثانويّاً:
" لا تسقي ماء الحياة بذلّة ***** بل فأسقي بالعزّ كأس الحنظل
ماء الحياة بذلّة كجهم ***** وجهمّ بالعزّ أطيب منزل"١٧

ودعا المتنبي المتقبل إلى اتّخاذ الكرامة سبيلاً للحياة والمجد:
" عيش عزيزاً أو مت وأنت كريمٌ .. بين طعن القنا وحقق البنود "

١٢: الكتاب المدرسيّ للسنة الأولى من التعليم الثانوي، ص ١١

١٣ نفس المصدر ، ص ٩٦

١٤: الكتاب المدرسيّ ، الثالثة ثانويّاً ، ص ٦٤

١٥: الكتاب المدرسيّ لتلاميذ السنة الأولى من التعليم الثانوي، ص ١٦٠

١٦: الكتاب المدرسيّ لتلاميذ السنة الثانية ثانوي، ص ٣٥

١٧: من ديوان عنتر بن شدّاد الكتاب المدرسيّ القديم للسنة الأولى ثانويّاً ص ٢٥

إذن هناك عديد النصوص الأدبية التي رَغبت المتعلم في الكرامة ودعته إلى اتّخاذها سندا ومرجعا يقي الذات من الذلّ ويجعلها في غنى عن عطايا تجعله في منزلة العبيد.
*** العفة:**

هي قيمة أخلاقية تتعلّق بالجنسين الرّجل والمرأة بمعنى الابتعاد عن المعاصي وتجنّب الأثام التزاما بمبادئ دينية أخلاقية، نجدها في نصوص الشعر خاصة إذ احتفل شعراء الغزل بعفة الحبيبة في سياق الوصف والتغزل بها خلفيا وحُلقيا. ففي محور الشعر الأندلسي والموشحات في كتاب النصوص لتلاميذ السنة الثالثة من التعليم الثانوي، شعبة الآداب.

صوّر ابن زيدون الحبيبة :

وتبرز خلف حجاب العفاف ***** وتسفر تحت نقاب الخجل^{١٨}
محتفلا بهذه القيمة الفاضلة. فالحبيبة ذات خلق وعفة وطهارة لا تتأثر بالمغريات.
وبرز معنى العفة أيضا في النصوص المدحية والفخرية لدى الجاهليين مثلما برز في فخریات حاتم الطائي.
وما تشكيني جرتي غير أنني ***** إذا غاب عنها بعلمها لا أزورها^{١٩}

*** الكرم:**

اهتمت برامج التعليم بالقيم الأخلاقية ورغبت المتعلم في المحمود منها كما حرصت على اختيار المحاور المناسبة والنصوص الدالة تماشيا مع الأهداف والقدرات والاحتياجات.
حفل المحور الأول " الشعر الجاهلي" في كتاب السنة الثانية ثانويًا بعيد القيم التي تغنى بها الشعراء ومجدها. وقد وجدنا أنّ للكرم قيمة ومنزلة وحضورا لافتا في مختلف أغراض الشعر ونصوصه ذلك أنّه من القيم العربية الأصيلة المتعلقة بمفهوم الشهامة والسّخاء بإكرام الضيف وتبجيله ممّا يساهم في توطيد العلاقات والروابط الاجتماعية.

واقترح حاتم الطائي في شعره بسخائه الذي شاع لدى كلّ الأمم و كان مضرب الأمثال. فالكرم من المآثر المحمودة وتواتر حضوره في قصائد الشاعر الفخرية إذ لا يقلّ قيمة عن معاني البطش والفتك . بل إنّ إتلاف المال عنده يماثل الفتك بالأعداء والخصوم زمن المعارك. وقد قال مفتخرا بكرمه:

وأبرز قِدري بالفضاء، قليلها ***** يُرى غير مضمون به، وكثيرها
ابلي رهن أن يكون كريمها ***** عقيرا أمام البيت حين أنيرها
أشاورُ نفس الجود حتى تُطيعني ***** وأتركُ نفس البخل لا أستشيرها^{٢٠}
يعدّ حاتم الطائي أكرم العرب ونموذجا للبدل والسّخاء واعتُبر الكرم من حميد الصفات والشّمائل.
كما تغنى عنتر بن شداد هو الآخر في قصائده الفخرية بالكرم :

وإذا صحوت فما أقصّر عن ندى ***** وكما علمت شمالي وتكرمي^{٢١}
فهو يتصف بقيم أخلاقية إضافة إلى خصاله الحربية في مجتمع جاهليّ يقدر العادات الحميدة والمعاملات الحسنة وكلّ هذه القيم تندرج ضمن معاني الفخر.

ومجّدت الخنساء قيمة الكرم في تأبينها لأخيها صخر معدّة خصاله ومناقبه:

طويلُ النجاد رفيعُ العماد ***** كثيرُ الرماد إذا ما شتا^{٢٢}
القيم الوطنية:

^{١٨}: الكتاب المدرسي لتلاميذ الثالثة آدابا ، ص ١٢

^{١٩}: كتاب النصوص لتلاميذ السنة الثانية من التعليم الثانوي، ص ٤١

^{٢٠}: كتاب " عيون الأدب" لتلاميذ السنة الثانية من التعليم الثانوي، ص ٣٨

^{٢١}: نفس المصدر ص ٤١

^{٢٢}: ديوان الخنساء

حضرت القيم الوطنية في محور الشعر الوطني في برنامج العربية لتلاميذ الأولى ثانويًا. ونحن نعلم دور الشعر الوطني في الدعوة إلى مقاومة الاستعمار وفضح جرائمه و تعزيز روابط الإنسان بأرضه ووطنه وتغذية شعوره بالانتماء إليه إضافة إلى الانتصار لحركة المدّ الوطني القومي وترتبط هذه القيم بمفهوم الالتزام فهو الجامع بينها الحادث على تبنيها انتصارا للقضايا الوطنية وتجذرا في هموم الشعب .

* حبّ الوطن:

أفرد الشاعر أبو القاسم الشابي تونس بعيد القصائد الوطنية وردّد حبه لها عاشقا مفتخرا ليعبر عن تعلقه بها وإعجابه بجمالها . ونستدلّ على هذا الحبّ بقصيدة تونس الجميلة:

أنا يا تونس الجميلة في لججٍ ***** ج الهوى قد سبحت أيّ سباحة^{٢٣}

مبرزا في هذا البيت صدق حبه لتونس منبهرا بجمالها مستبشرا بنور قادم من وراء ظلام.

كما عبّر الشاعر أحمد شوقي عن حبه لوطنه وشدة تعلقه به بعد عودته من منفاه سنة ١٩٢٠

ويا وطني، لقيتك بعد يأسٍ ***** كأنّي قد لقيت بك الشّبابا^{٢٤}.

أي أنّه صوّر مشاعره تجاه وطنه بهذا التشبيه التمثيليّ مبرزا أهميّة العودة إلى الوطن ودرجة شوقه ولهفته إليه منتشيا بهذا اللقاء.

* الحثّ على الثورة والنضال ضدّ الاحتلال:

حفلت القصائد الوطنية بمفهوم الثورة والنضال ومجدّته ذلك أنّنا نجد في قصائد أبي القاسم الشابي حثّا واضحا للإنسان مناديا إياه واصفا ومقرّبا لإثارة عزمه واستنهاض هممه من أجل الثورة على الظلم والاستبداد زمن معركة التحرير الوطني وفي سياق تفاعل الشاعر مع أوضاع وطنه تونس. فخاطب الشعب مستنكرا رضوخه وعوده:

فمالك ترضى بذلّ القيود ***** وتنحني لمن كبّلك الجباه؟^{٢٥}

في دعوة صريحة واضحة إلى الفعل.

واحتفى محمود درويش بقيم النضال رغم سجن السجّانين مواجهها غطرسة المستعمر دون رهبة مصرّا على تحديه بلهجة واثقة ساخرة متحدية:

وطني، يعلمني حديد سلاسلي ***** عنف النّسور ورقّة المتفائل

سدّوا عليّ النّور في زنزانه ***** فتوهّجت في القلب شمس مشاعل^{٢٦}

* الإرادة والعزم:

يعتبر مفهوم الإرادة من القيم الوطنية التي تجعل المتعلّم راغبا في توظيفها فخورا بامتلاكها وهي التي تمثّل قادحا للفعل والثورة والنضال وقد تعنى بها أبو القاسم الشابي في نصّ "إرادة الحياة" من ديوانه أغاني الحياة في أسلوب حكيمٍ تأثيريّ مبرزا العلاقة الوطيدة بين إرادة الإنسان واستجابة القدر لها أي أنّ الإرادة هي المحرك الرئيسيّ للفعل والموقف وهي التي تجعل الإنسان راغبا في التحرّر وقادرا على المواجهة ومؤمنا بقدراته الذاتية:

إذا الشعب يوما أراد الحياة ***** فلا بدّ أن يستجيب القدر^{٢٧}

مضيفا :

ومن لا يحبّ صعود الجبال ***** يعيش أبد الدهر بين الحفر^{٢٨}

وتكثيف الخطب الحكمي غايته تحفيزيّة توعويّة

^{٢٣}: كتاب النصوص آفاق أدبيّة ، ص ١٧٣

^{٢٤}: نفس المصدر ، ص ١٦٠

^{٢٥}: نفس المصدر ، ص ١٦٠

^{٢٦}: نفس المصدر ، ص ٢٠٧

^{٢٧}: الكتاب المدرسيّ لتلاميذ السنة الأولى من التّعليم الثّانوي، ص ١٦٥

^{٢٨}: نفس المصدر، ص ١٦٥

مما يبرز قيمة الإرادة في إثارة الهمم وتحريك العزائم . فالبرامج الرسمية في تدريس الأدب حثت عليها وثمنت كل مؤمن بها ورغبت المتعلمين فيها في أسلوب تحفيزي توعوي إرشادي.

وأكد مصطفى الفارسي في أقصوصته " القنطرة هي الحياة " دور الإرادة والجدة في تغيير الواقع وإذكاء الحماس والعزم على لسان العجوز:

" يا الله ، يا وليدي مفتاح .. كسر الأخشاب وشمّر عن سواعد الجدّ ، واترك الهلس والنزهة... فكّر في البرد .. في المطر.. في الضباب"^{٢٩}

وفي محور "الشعر العربي الحديث " صاغ محمود درويش مفهوم الإرادة على لسان أحمد الزّعر:

أنا أحمد العربيّ، فليأت الحصار

جسدي هو الأسوار، فليأت الحصار

وأنا حدود النَّار، فليأت الحصار

وأنا أحاصركم

أحاصركم

صدري باب كلّ النَّاس، فليأت الحصار^{٣٠}

وتغنّى المتنبّي بقيمة العزم رابطا إياها بأهلها أي لا معنى للعزم إن ظلّ مجرد مفهوم نظريّ وهي قيمة تتعلّق بخصال الذات في كلّ المقامات.

" على قدر أهل العزم تأتي العزائم ***** وتأتي على قدر الكرام المكارم "^{٣١}

القيم الإنس: انية

* الحرية:

خصّصت المناهج التعليميّة حيّزا واضحا لمفهوم الحرية ترغيبا وتحفيزا باعتبارها هبة فطريّة لا بدّ أن يمارسها المتعلّم في إطار أخلاقيّ نفعيّ وسلوك إنسانيّ جمعيّ كي لا تصبح نوعا من الفوضى الهدّامة أو قد تشكّل تجاوزا للقوانين الوضعيّة التي تحدّد علاقة الفرد بالآخرين أي أنّها ليست بعث أو تمرّد على الصّيع الأخلاقيّة الأخرى. وتتمثّل في حرية الرّأي والتّفكير والتّعبير ووجد أبا القاسم الشّابي يتغنّى بها وهو يخاطب ابن أمّه الإنسان مذكّرا إياه بحريّته الطبيعيّة:

" خلقت طليقا كطيف التّسيم ***** وحرا كنور الضّحى في سماه"^{٣٢}

وتغنّت الشّاعرة الفلسطينيّة فدوى طوفان بالحرية ودورها الريادي في إحساسها بوجودها الإنسانيّ وتجسيده صوتا وموقفا، قولاً وممارسة:

حريّتي (علامة تعجب) حريّتي (علامة تعجب) حريّتي

صوت أرده بملء فم الغضب.

وأنا أناضل داعيا حريّتي.

بل شخّصت بعض عناصر الطّبيعة واستعارت لها صوت الإنسان لتردّد معها لفظ " الحرية " .

ويردّد النّهر المقدّس والجسور.

حريّتي.

والضفّتان تردّدان: حريّتي.

ومعابر الرّيح الغضوب^{٣٣} .

^{٢٩}: الكتاب المدرسي لتلاميذ الأولى من التّعليم الثّانوي ، محور الأقصوصة ، ص ٣٦٩

^{٣٠}: الكتاب المدرسي لتلاميذ الثّالثة من التّعليم الثّانوي ، ص ١١٣

^{٣١}: الكتاب المدرسي للرّابعة آدابا، ص ٥٣

^{٣٢}: الكتاب المدرسي لتلاميذ السّنة الأولى من التّعليم الثّانوي، ص ١٦٠

^{٣٣}: نفس المصدر ص ٢١٢

فشاركت الطبيعة الشاعرة هذا الاحتفاء وهي الفضاء الممتد الحرّ ممّا أنشأ جوقة احتفالية في رحاب التّوق والمتعة والتحرّر من كلّ السّلط المعيقة لإرادة الإنسان.

لم يغفل طه حسين عن الخوض في مفهوم الحرية داعيا إلى تحرير الأدياء من السّطة " يجب أن يحرّر الأدب و الأدياء وأن يتاح لهم القول في كلّ ما يشعرون به ويجدون الحاجة إلى القول فيه"^{٣٤} بل جعلها محمّد الخضر حسين تنمّي تلك الطّاقة الإبداعية في الإنسان " والحرية تعلّم اللّسان بياناً وبراعة "^{٣٥} أي تجعله كأننا حرّاً يمكنه أن يكون مبتكراً صانعاً مبدعاً موظفاً مهارته مجسّداً موهبته.

* الصّبر:

هو من المعاني الإنسانية والفضائل النفسيّة والمضامين التي انعقدت عليها معاني الفخر والمدح والرّثاء في محاور الأدب للمرحلة الثّانويّة ووجدناه مبنوثاً في أغلب أجناس الكتابة ومحاور التّدرّيس. وهو من الصّفات المحمودّة والخصال التي ترتبط بمفهوم العظمة والاقْتدار وتحمل الشّدائد والتّكبات لذلك هو حاضر في شعر الشعراء ونثر النثرين.

وقد قال الشّاعر الأعشي في مدحيّة له واصفاً الممدوح:

والصّبرُ منه قديماً شيمَةٌ خُلِقَ * * * * * وزنده في الوفاء الثّاقبُ الواري^{٣٦}
كما احتقى أبو تمام في حماسته بقيمة الصّبر مثمّناً خصال ممدوحه أبي سعيد النّغري:
" لولا جِلادُ أبي سعيد لم يزل * * * * * للثّغر صدرٌ ما عليه صِدارُ"^{٣٧}

* الأمل

هو من المفاهيم الإنسانيّة التي ارتبطت بالأهداف المضمونيّة في سفر البرامج الرّسميّة في التّعليم التّونسيّ وتواتر ذكره في مختلف النّصوص المبرمجة باعتباره يشدّ العزائم وينمّي الطّاقات ويفتح مسالك نور لكلّ يائس أو عاجز. وقد احتقى أبو القاسم الشّابي بالأمل مفتننا متغنّيّاً:

إنّ ذا عصر ظلّمة غير أنّي * * * * * من وراء الظّلام شمّت صباحه
ضيّع الدّهر مجد شعبي ولكن * * * * * ستردّ الحياة يوماً وشاحه^{٣٨}
وخاطب الإنسان محقّراً ناصحاً متفانلاً :

ولا تخش ممّا وراء التّلاع * * * * * فما ثمّ إلّا الضّحى في صباحه^{٣٩}

أمّا في الشّعر الحديث فقد بشر بدر شاكر السّياب العراق في قصيدة " أنشودة المطر " بالقادِم الجميل أملاً في مستقبل أفضل.

"في كلّ قطرة من المطر

حمراء أو صفراء من أجنة الزّهر

وكلّ دمعة من الجياح والعراة

وكلّ قطرة تراق من دم العبيد

فهي ابتسام في انتظار مبسم جديد

أو حلمة تورّدت على فم الوليد"^{٤٠}

* التّعاون

^{٣٤}: الكتاب المدرسيّ للثّالثة شعباً علميّة، ص ٢٤٩

^{٣٥}: نفس المصدر، ص ٢٤٦

^{٣٦}: الكتاب المدرسيّ للسّنة الرّابعة آداباً: ص ٢٩

^{٣٧}: نفس المصدر، ص ٢٩

^{٣٨}: الكتاب المدرسيّ لتلاميذ السّنة الأولى من التّعليم الثّانوي، ص ١٧٣

^{٣٩}: نفس المصدر، ص ١٦٠

^{٤٠}: كتاب النّصوص لتلاميذ السّنة الثّالثة من التّعليم الثّانوي " آداب " ص ١٠٤

ورد مفهوم التعاون وهو من القيم الأخلاقية الإنسانية في عديد المصادر الأدبية والمراجع الدراسية والبرامج التعليمية في جميع مراحل التعليم: الأساسي والإعدادي والثانوي. وعند تصفحنا لبرنامج الأدب والعربية للسنة الأولى ثانويًا ، محور الحكاية المثلية أكد ابن المقفع قيمة التعاون وحرص على صياغتها على السنة الحيوان في شكل مفاهيم رمزية و حكم اعتبارية.ظهرت قيمة التعاون خاصة في باب الحمامة المطوقة من كتاب كليله ودمنة وقد صرح الفيلسوف بديبا بجدواها وقيمتها في تأسيس علاقات تعاون وتكاتف " الأخوان هم الأعوان على الخير كله والمواسون عندما ينوب من المكروه"^{٤١}.

وأجريت هذه الحكمة النظرية في موقف الحمامة المطوقة وهي تخاطب صويحباتها عندما وقعن في شرك الصياد " فجعلت كل حمامة تتلجج في حبالها وتلتمس الخلاص لنفسها. قالت المطوقة : لا تخاذلن في المعالجة ولا تكن نفس احداكن أهم اليها من نفس صاحباتها ، ولكن لتعاون جميعنا ونفعل الشبكة فينجو بعضنا ببعض "^{٤٢}.

وفي الشعر الوطني نصح أحمد شوقي جيل الغد بالعمل والفعل والحزم والإقدام والتعاون:

" يا أيها الجيد الذي يبني غداً ***** كُنْ في بنائك حازماً مقداماً .
واجعل أداتك في البناء محبةً ***** وتعاوناً وتألماً ونأماً"^{٤٣}.

أي هناك حثٌ وتحسيس ودعوة لممارسة التعاون سلوكاً وأفعالاً وهو قيمة من شأنها أن تحقق الخير والفلاح والصلاح والنجاح بل هو من أسس البناء والتشييد.

*** العدل:**

للعدل أهمية في الحياة ودور في القوانين والأحكام ويعد من القيم التي مجدها كتب الأدب ودعت إليها التشريعات في مختلف البلدان العربية. فالعدل هو أس من أسس الحكم الرشيد وصرح ابن خلدون أنه أساس العمران وتطور البنين. وقد تضمن كتاب النصوص "علامات" للسنة الثالثة شعباً علمية واقتصادية عرضاً لها وتذكيراً بها في خطاب الموبدان للملك :

" ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل ، والعدل الميزان المنصوب بين الخليقة ، نصبه الرب وجعل له قيماً هو الملك"^{٤٤}.

كما أكد قيمة أبو حيان التوحيدي قيمة العدل في الإمتاع والمؤانسة الذي مثل سندا ثرياً لمحور العدل والإنصاف في برنامج الثالثة شعباً علمية واقتصادية. فقد أمر الخليفة المعتضد وزيره " فمن كان منهم يصلح للعمل فعلقه به، ومن كان سيء الحال فصله من بيت المال بما يعيد نضرة حاله ويفيده طمأنينة باله"^{٤٥}.

ونبه إخوان الصفاء في الرسالة ١٧ ج ٣ إلى مصير السلطان الجائر الظالم " اعلم أن السلطان الجائر قصير العمر لأن الله قاصم كل جبار عنيد ومهلك كل معتمد ، ومنصف المظلوم من كل ظالم "^{٤٦}.

إضافة تأكيد فضل العدل في تحقيق الإنصاف والمساواة بين الناس مهما تباينت مراتبهم واختلفت ظروفهم. وأستدل على ذلك بخطاب الأميرة القرطاجية ديدون وهي تحاور بثقة وبلاغة وبقين عدوها القائد الروماني لإقناعه بأهمية العدل " إذا فرض الأقوياء عدلهم على الضعفاء تحول العدل عن غايته وانتهى الى مصلحة الأقوياء. العدل الصحيح يجب أن يكون ثمرة الحرية لا وليد الاستبداد."^{٤٧}

*** الشجاعة**

^{٤١}: الكتاب المدرسي لتلاميذ السنة الأولى من التعليم الثانوي، ص ١٢٩

^{٤٢}: نفس المرجع ، ص ١٣٠

^{٤٣}: نفس المرجع، ص ١٩٧

^{٤٤}: الكتاب المدرسي لتلاميذ الثالثة شعباً علمية، ص ١٩٠

^{٤٥}: الكتاب المدرسي لتلاميذ الثالثة شعباً علمية، ص ٢١١

^{٤٦}: نفس المصدر ، ص ٢١٣

^{٤٧}: نفس المصدر، ص ٢٢٠

في صياغة البرامج الرسمية للتعليم التونسي اهتمت اللجان المشرفة عليه باختيار نصوص شعرية تحتفي بالشجاعة وكلّ اللوازم المرتبطة بها من جرأة وثبات وبسالة وإقدام وهذه الصفات كلّها تدرج ضمن مقام وصف المعارك والاحتفال ببطولات القادة والأمراء والجيوش قديما ، بيد أنّها لا تقتصر على ذلك السياق التاريخي فحسب، بل هي تمثّل أيضا شدة قلب الإنسان وعدم خوفه وبالنسبة إلى فوائدها التعليمية التربوية تتمثّل في تلك الطاقة النفسية والشحنة المعنوية التي تعزّز بها موقف التلميذ في كلّ الوضعيات التي يعيشها فالخوف يمثّل عائقا والتردد يمثّل حاجزا وهما يقصيان الإمكانات النفسية للذات البشرية.

تعتبر الشجاعة عنصرا من عناصر الفتوة وصفة تبيّن عظمة الذات وقد عظّمها الشعر الجاهلي وأشاد بها الشعراء في كلّ الأغراض . من ذلك ما قاله طرفة بن العبد في معلقته من بحر الطويل:

" إذا ابتدر القوم السلاح وجَدتني ***** مَنيعًا إذا بلّت بقائمه يدي"^{٤٨}
وقال عمرو بن كلثوم في نبرة حماسية تمجيدا للشجاعة:

" لنا الدنيا ومن أضحى عليها ***** ونبطش حين نبطش قادرينا
ونحن التاركون لما سخطنا ***** ونحن الآخذون لما رضينا"^{٤٩}

أمّا عنزة العبيسي فقد افتخر بشجاعته وهو يخاطب حبيبته عبلّة

" يخبرك من شهد الواقعة أنني ***** أعشى الوغى وأعفت عند المغنم
لما رأيت القوم أقبل جمعهم ***** يتذاكرون كررت غير مُذمّم"^{٥٠}

هي الشجاعة إذن من الشّيم المحمودة تبرز فروسيّة الفارس. ومن شأن هذه الصّفة أن تعزّز ثقة الإنسان في نفسه عموما وثقة المتعلّم في قدراته خصوصا في نوع من الاعتداد بالذات. وإنّ مفهوم الشجاعة تجلّى أيضا في قصائد الحماسة تمجيدا لبطولات الأبطال باعتبارها.

تحفّز همهم وتُدعم نفسيّتهم وتفعّل قدراتهم وقد مدح أبو تمام المعتصم بمناسبة فتحه عمورية قائلا:

" أحبته معلنا بالسيف مُنصلنا ***** ولو أحببت بغير السيف لم تُحب"^{٥١}
كما أشاد بأبي سعيد الثّعري في غزوة وصلت حدود القسطنطينية :

" فانظر بعين شجاعة فلتعلمن ***** أنّ المُقام بحيث كُنْتَ فرارُ
لما أتتْك فلولهم أمددتهم ***** بسوابق العبرات وهي غزارُ"^{٥٢}

واسترجع أبو تمام شجاعة محمّد بن حميد الطوسي حين رثاه:

" فأثبت في مستنقع الموت رجله ***** وقال لها من تحت أخصيك الحشر"^{٥٣}
واسترجع أبو تمام شجاعة محمّد بن حميد الطوسي حين رثاه:

" فأثبت في مستنقع الموت رجله ***** وقال لها من تحت أخصيك الحشر"^{٥٤}

أجمع الشعراء والكتّاب والنقاد على أنّ الشجاعة من القيم العربية الأصيلة التي لا يمكن للفرد أن يستغني عنه وإدراجها ضمن المضامين القيمية البطولية الحماسية غاية ترغيب التلميذ فيها وغرسها في وجدانه الفطري.

كما استعار الأسد رمز الشجاعة في مدح خالد بن يزيد الشيباني:

" وما الأسد الضّرغام يوما بعاكسٍ ***** صريمته إنَّ أن أو بصبص الكلب"^{٥٥}

^{٤٨}الكتاب المدرسي لتلاميذ الثانية شعبة علمية، ص ٣١

^{٤٩}: نفس المصدر، ص ٣٥

^{٥٠}: نفس المصدر، ص ٣٨

^{٥١}: الكتاب المدرسي لتلاميذ الرابعة آداب، ص ٢٤

^{٥٢}: نفس المصدر، ص ٣٠

^{٥٣}: نفس المصدر، ص ٣٨

^{٥٤}: نفس المصدر، ص ٣٨

^{٥٥}: نفس المصدر، ص ٤٢

أما أبو الطيّب المتنبي فقد تعني في شعره فخرا ومدحا بالشجاعة. فهو يفتخر بامتلاكها متأثرا بتلك الأحداث التاريخية التي شهدتها كي يدرج نفسه ضمن الفحول والأبطال.

" لأتركنَّ وجوه الخيل ساهمةً * * * * * والحربُ أقومُ من ساقٍ على قَدَمٍ " ^{٥٦}

وفي سيفياته ابتدع المتنبي صورا خيالية لمدح شجاعة سيف الدولة

" بناها فأعلى والقنا يقرعُ القنا * * * * * وموجُ المنايا حولها مُتلاطمٌ " ^{٥٧}

دون أن ننسى شعر ابن هانئ الحماسي وتغنيته بالشجاعة حين مدح المعز لدين الله الفاطمي في تصوير ملحمة انتصاره على عدوه الهمستق :

" نقلت أطراف السيوفِ قطينها * * * * * عودًا لبدءٍ إنَّ مثلك يفعلُ. " ^{٥٨}

القيم العقلية:

*** رجاحة العقل:**

أولت برامج التدريس وأهدافها المميّزة العقلَ أهميّة في محاور الدراسة في مختلف مستويات التعليم وحضرت دلالاته وعلاماته شعرا ونثرا تمجيدا لوظيفته ونفعه للإنسان في حياته كلّها. وتضمّنت النصوص التمهيدية لمحور المنزع العقلي في الأدب العربي القديم تعريفات للعقل إذ عرّف زكي نجيب محمود العقل بـ " هو الحركة التي انتقل بها من شاهد إلى مشهود ومن دليل إلى مدلول عليه، ومن مقدّمة إلى نتيجة تترتب عليها ، ومن وسيلة إلى غاية تؤدي إليها " ^{٥٩}

ارتبط العقل بالحكمة والتفكير السليم المنطقي فمجّده القدامى والمحدثون واتفق أهل النّقل والعقل على أهميته رغم اختلاف الموجّهات والمراجع فأهل الشريعة يرون أنّ الحسن هو ما حسنته الشريعة والقبیح هو ما قبحته الشريعة في حين يرى أهل العقل أنّ الحسن هو ما حسنه العقل والقبیح هو ما قبحه العقل. أما أغلب الشعراء فقد تغنّوا به من بينهم المتنبي في سيفياته مُنشدا مُجداً :

" الرّأي قبل شجاعة الشجعان * * * * * هو أوّل وهي المحلّ الثّاني " ^{٦٠}

وجعله أقوى من السيف جاهزيّةً وفاعليّةً وجدّةً به يخطّط الفتي ويتدبّر و يجادل ويفحم الآخرين بمنطق العقل:

ولربّما طعن الفتى أقرانه * * * * * بالرّأي قبل تطاعن الأقران " ^{٦١}

أما في محور المنزع العقلي في الأدب العربي للرابعة آدابا فقد نصح الجاحظ الإنسان باستعمال العقل لا الحسن لاكتشاف المعارف وإدراك الحقائق :

" فلا تذهب إلى ما تريك العين واذهب إلى ما يريك العقل، وللأمور حكمان: حكم ظاهر للحواس وحكم باطن للعقول، والعقل هو الحجّة " ^{٦٢}

فيه نميّز الخير من الشرّ لذلك نصّت عليه برامج التعليم وشجّعت التلاميذ على استعماله في الدراسة والعمل والحياة باعتباره يجلب المنافع ويدفع المضار. كما لا بدّ من شحذ العقل وصيانته من التبدّل " فهو أحوج إلى الشحذ من السيف " ^{٦٣}

كما بين التوحيد في الإمتاع والمؤانسة أنّ العقل هو من أصول السياسة الرّاشدة " إنّ نور العقل إذا شخّ عمّ نفعه، وإذا برق خصّ نفعه وإذا خفي بطل نفعه " ^{٦٤}

^{٥٦}: نفس المصدر، ص ٤٩

^{٥٧}: نفس المصدر، ص ٥٣

^{٥٨}: نفس المصدر، ص ٨٣

^{٥٩}: الكتاب المدرسي للرابعة آدابا ، ص ١١١

^{٦٠}: نفس المصدر ، ص ٦١

^{٦١}: نفس المصدر ، نفس الصّفحة

^{٦٢}: نفس المصدر، ص ١٤٦

^{٦٣}: نفس المصدر ، ص ١٥٧

* حسن التدبير:

إنَّ حسن التدبير من القيم الصالحة النَّافعة وهو من القيم العقلية التي يحتاج الحاكم والسياسي والإنسان بصفة عامة وترتبط هذه القيمة بالقرارات والأعمال وخاصة في اختيار الوزراء والأعوان المستشارين والحاشية المقرّبة وقد مجّد ابن المقفّع في كليلة ودمنة هذه القيمة عندما نقل حوار الملك دبشليم وبيدبا الفيلسوف الذي أقرّها " إنَّ المُلك لا يستطيع ضبطه إلا مع ذوي الرأي وهم الوزراء والأعوان.... ويجب على الملك أن يخبر وزراءه وذوي رأيه ويرى ما عند كلّ واحد منهم من الرأي والتدبير"^{٦٥} فحسن التدبير هم من القيم المساعدة على تحقيق الأمر والاستقرار وتطوّر العمران ويعدّ أحد ركائز الحكم النّاجح .
وفي محور شعر الحماسة في القرنين الثّالث والرّابع للهجرة مدح أبو تمام حسن تدبير المعتصم في المعارك والفتوحات:

" تدبيرُ معتصم بالله مُنتقم ***** لله مُرتقب في الله مُرتغب "^{٦٦}

وبدا حسن التدبير في موقف الوزير ابن سعدان عندما أعلمه التّوحيدي بتدبّر العامة من غلاء القوت وانتشار الفقر وقلة الطّعام ، ذلك أنّه قرّر " والله لأنظرنّ لها وللفقراء بمال أطلقه من الخزانة ، وأرسم ببيع الخبز ثمانية بدرهم، ويصل ذلك إلى الفقراء"^{٦٧}.

* العمل:

إنّ للعمل قيمة تجسّد سعي الفرد وإرادته يرتبط بالأفعال والأعمال والمواقف. هو تعبير عن انخراط الإنسان في الفعل وتجسيد إنسانيته. والإنسان العامل يكون مفيدا لنفسه وللمجتمع. ولا يمكن ان تنهض الشّعوب دون عمل الأفراد والجماعات ولا يمكن أن ينهض اقتصاد أيّة دولة وينمو مؤشّر نموّ اقتصادها دون عمل في مختلف المجالات والقطاعات فالشّخص غير العامل يكون عالية على عائلته ومجتمعه لأنّه استهلاكيّ وغير منتج. وبرامج التّعليم في تونس أكّدت قيمة العمل ومنفعته ودوره في نحت شخصيّة الإنسان فقد وجدنا في محاور دروس التّعليم الأساسيّ و الإعداديّ والثّانويّ هذا المنحى من خلال صياغة أهداف إجرائيّة مميّزة. وما ورد في الكتاب المدرسي للرابعة أدايا يؤكّد هذا الاعتناء بقيمة العمل وتثمينها في الدروس المدرسيّة. فقد قدّم التّوحيدي في محور المنزع العقليّ مفهومًا للعمل مبرزًا خصائصه " العلمُ قوامُ المعقولِ والعملُ قوامُ المحسوسِ.... لأنّ العملَ إنّما هو رياضةُ التّفسين اللّتين تعاندان النّفس النّاطقة أعني الشّهويّة والغضببة "^{٦٨}.

وقد ربط التّوحيدي قيمة العمل بالسّعادة أي أنّه وسيلة سعادة واستقرار نفسي وماديّ. بل ذهب إلى أنّ " العمل حقّ عليك لا بدّ من أدائه "^{٦٩}. أي هو واجب حسب الاستطاعة والقدرة طبعًا. لذلك حفّزت البرامج الرّسميّة على القيم بالعمل ورغبت فيه في عديد المحاور وخصّصت له نوات تعليميّة. وتعود المدرسة التّلميذ على العمل الصّالح ممّا يجعله شاعرا بالواجب والمسؤوليّة. واعتمد التّوحيدي في تحليل مفهوم العمل أسلوبًا تعليميًا جمع بين المنهج العقليّ والتأثير الوجدانيّ الرّوحي تحفيزًا وترغيبًا " العمل كلّهُ نور، والنور هو ما أضاعك وسطع عليك وأسفر بك وأبرز لبك وزينك وأبهجك "^{٧٠}.

* العلم

^{٦٤}: نفس المصدر ، ص ٢٠٨

^{٦٥}: الكتاب المدرسي لتلاميذ السّنة الأولى من التّعليم الثّانوي، ص ١٢٠

^{٦٦}: كتاب النّصوص للرابعة أدايا ، ص ٢٤

^{٦٧}: نفس المرجع ، ص ٢٠٩

^{٦٨}: الكتاب المدرسيّ للسّنة الرابعة أدايا ، ص ٢٢٢

^{٦٩}: نفس المصدر ، ص ٢٢٢

^{٧٠}: نفس المصدر، ص ٢٢٢

إنّ القيمة التربويّة المعرفيّة للعلم ترتبط بالعمل فهما متلازمان ، ذلك أنّ العمل يحتاج إلى العلم به كما أنّ لا قيمة للعلم دون تجسيده عملياً منجزاً فعلياً ونحن نعلم أنّ لهذا التلازم جدوى ومنفعة وخيرا. فأحدهما يمثل جانب التّنظير المعرفيّ والآخر يجسّد جانب التّفعيل العمليّ للبرامج والنّظريات. وتحظر قيمة العلم في المناهج التربويّة والمسائل البيداغوجيّة.

تأكيدا للوظيفة التي يضطلع بها في اكتشاف العلوم وتطوير المعارف وإجراء التجارب. وذهب أبو حيان التّوحيدي في كتابه الإمتاع والمؤانسة إلى تثمين قيمة العلم نظرياً وإجرائياً وبين علاقته بالعمل في مقارنة لا تنحو منحى الاختلاف والتّبيان بل تشي بجدلية العلاقة المتعاضدة المتكاملة وقد أبان التّوحيدي في هذا السّياق " العلم بساط العمل الصّالح،، والحقّ المعتمد والرّاحة في العبء، ومن عُرِي من العلم ولزم العمل كان كخابط عشواء، وما يفوته أكثر ممّا يجد، وما يفسده أكثر ممّا يصلحه ، ومن لزم العلم وخلا من العمل كان كلابس ثوبي زور"^{٧١} .

جعل التّوحيدي العلم في علاقة بالعمل فكلاهما مفيد للإنسان ولا يصلح الواحد منهما إلاّ بالآخر. كما أقرّ أنّ " العلم حياة الحيّ في حياته، والجهل موت الحيّ في حياته "^{٧٢}

وفي كتاب الحيوان ربط الجاحظ بين المعرفة العلميّة والاستدلال أي بن النظرية والتّجربة لذلك فالعلم ليس مجرد بحوث ونظريات بل تجارب تُجرى في مخابر واستدلال تجريبيّ يستند إلى منهج عقليّ " ولولا استعمال المعرفة لما كان للمعرفة معنى "^{٧٣}

وأفرد برنامج العربيّة للرّابعة شعباً علميّة محورا كاملا للتّفكير العلمي عند العرب لإبراز أهميّة العلوم عند العرب قديما وخصّص عديد النصوص المتعلّقة بمنهاج البحث العلميّ واستدلّ ببعض العلوم التي اكتشفها العرب قبل غيرهم من الأمم ثم احتفى بقائمة اسميّة لعلماء عرب كان لهم فضل كبير في اكتشاف النظريات العلميّة وانجاز التجارب المخبريّة. مثل " الرّازي وهو من أعظم الأطباء ويعتبر رائدا في الجمع بين الطبّ والكيمياء وابن الجزّار من أعلام الثّقافة الطبيّة والصّيدليّة العربيّة الإسلاميّة وابن سينا وهو من استعمل التّخدير أثناء الجراحة / وابن النّفيس الذي اكتشف الدّورة الدمويّة ، وجابر بن حيّان رائد الكيمياء الحديثة ... "^{٧٤} .

صعوبات البحث:

رغم المتعة التي عشتها أثناء انجاز هذا البحث وتحريره وجدت بعض الصّعوبات التي قد تعترض أيّ باحث وأيّة باحثة. وهذا أمر بديهيّ لأنّ البحث العلميّ له صعوبات تتعلّق إمّا بالجانب المعرفيّ أي توفير المادّة المناسبة له أو بالمراجع التي نشغل عليها ويصعب العثور عليها أحيانا وحتىّ إن استطعنا توفيرها وجب علينا أن نتقصّى ونبحث فيها نبشا وفرزا، استقصاء وبحثا لاختيار المناسب منها للاستدلال به في مختلف السّياقات والعناصر الكبرى أو الفرعيّة. وتوجد صعوبات تتعلّق بالمنهج المعتمد في إعداد البحث واختيار العناصر وكيفية تناول المسألة. فالأفكار النظرية تحتاج حججا وبراهين والنّصوص المختلفة أجناسا وأشكالا وأساليب ومضامين تتطلّب تدقيق المفاهيم والشّواهد بالرّبط بين الفنّي والمضمونيّ لأنّ القيم لا تأتي وحدها بشكل إحصائيّ أو تُعرض بشكل تنابعيّ ، بل تكون مبنوثة في مفاصل النّصوص ومقاطعها. وأرى ضرورة عقدها بالأهداف التعليميّة لمحاور التّدريس ونصوصه المختارة. إذن سأختار تبين الصّعوبات المتعلّقة بالمتعلّم فهو المتقبّل الأساسيّ لمجموع القيم في اختيارات تربويّة

^{٧١}: الكتاب المدرسيّ للرّابعة آدابا ، ص ٢٢٢

^{٧٢}: نفس المصدر ، ص ٣/٢٢٢

^{٧٣}: نفس المصدر، ص ١٥٣

^{٧٤}: الكتاب المدرسيّ " رؤى " لتلاميذ الرّابعة شعبا علميّة ، ص ٦٧-٦٨

بيداغوجية إضافة إلى الصعوبات المرتبطة ببرنامج التدريس الذي نهل منه المعارف والمضامين الروحية والفكرية والحسية.
*** المتعلم:**

توجد صعوبات تتعلق بالمتعلم لتبيان المستويات والمكتسبات والمهارات وهذا ما قد يعطل عملية تقبل المفاهيم وتبين القيم التي تضمنها برنامج الأدب في كل مستويات التعليم الثانوي. والمتعلم في هذه المرحلة العمرية يتأثر بعدد المفاهيم الدخيلة خصوصا تلك التي يوقرها العالم الافتراضي لذا هو يجد صعوبة في التواصل وتمثل القيم الأخلاقية التربوية. وبعض المتعلمين يرون أن بعض هذه القيم لا صلة لها بواقعهم في عصر الأنترنت والعولمة ويرى البعض الآخر أنها لا تناسب أذواقهم المتأثرة بالحدثة. إن المتعلم التلميذ هو أحد مقومات نجاح المنظومة التربوية ويراعي اختيار المحاور كل مراحل التعلم التي تلقاها دون أن يغفل عن تزويده بقيم عربية أصيلة وإنسانية نبيلة من أجل أن يكتسبها ويوظفها في أعماله ومعاملاته وأقواله.

كما أن هذا المتعلم هو في مرحلة عمرية فيها عديد الثنائيات مما يجعله يعيش صراعا ولا يمكن أن تكون اختياراته ثابتة ويقينية مادام مازال في طور التقبل وما دامت تحكمه بعض الانفعالات في عمر مازال يتحسس فيه المفاهيم إضافة إلى أنه شخصية ديناميكية متغيرة وتتصف بتداخل عديد المؤثرات التي تؤثر فيه فهو كما يقول المتنبّي "على قلق، كأن الرّيح تحتّه" وهو مزاجي التفاعل والتصرفات.

وهذه المزاجية هي إفراز لطبع فطري وربما تكون أيضا نتيجة عوامل اجتماعية وثقافية متداخلة. لذلك توجد عديد الصعوبات فيما يخص مسألة تفاعل المتعلم مع القيم التربوية المدرجة في برامج التعليم. ووجب البحث عن آليات أخرى تجعل من هذا المتعلم مقبلا على منظومة القيم راغبا فيها ولا بد من تطوير بيداغوجيا التقبل بالتركيز على الجانب النفسي للتلميذ وبمراعاة بيئته وتنشئته واحتياجاته النفسية خاصة دون أن ننسى الجانب المهاري لديه كي يكون للقيم جدوى ويكون للدرس متعة.

*** البرنامج**

بالنسبة إلى برنامج الأدب في المرحلة الثانوية لقد وجدناه مستعصيا على الفهم في بعض جوانبه ومحاوره كما بدا غريبا عن واقع التلميذ فيما يخص اختيار النصوص في برنامج "عيون الأدب" لتلاميذ السنة الثانية من التعليم الثانوي ومحور الشعر الجاهلي تحديدا، ذلك أن نصوصه صعبة قيلت في الجاهلية أي في زمن لا يمكن أن نبخس قيمته في الأدب بل هو مرجع ضروري لتثقيف المتعلم لكنه تضمن نصوصا شعرية عسيرة الفهم لصعوبة معجمها وألفاظها فأتى تدريس هذا المحور تعترضنا صعوبة التقبل إضافة إلى صعوبة التمثل والتفاعل يعني أن هذا المحور تحديدا قد لا يتماشى مع التحصيل المعرفي للمتعلم في هذه المرحلة من الدراسة لذلك هو لا يهتم بنشاط شرح نصوص هذا المحور بل ينفر منه مبذرا ذلك بعدم فهمه للشعر وكلماته وربما أيضا لعدم قدرته على تحليل القصائد إضافة إلى أنه اعتاد التفاعل مع المضامين الشعرية بينما يعجز على تبين أساليب التعبير وخصائص التصوير أنه يميل إلى المعاني لا الفنيات والمباني.

ويرى أن موضوع الاختبار الخاص بالشعر الجاهلي صعب للغاية سواء كان مقالا أو تحليل نص. وقد مرّ زمن على صياغة برامج التعليم الذي يحتاج فعلا إلى مراجعة وتعديل وتجويد وتبسيط وتجديد مراعاة لتكوين المتعلم وذوقه الفني والجمالي وتماشيا مع متغيرات العصر دون الانفصال عن المراجع والثوابت.

خاتمة البحث:

تبيننا إنّ مناهج التدريس في تونس استندت إلى نصوص الأدب في صياغة أهدافها التربوية والسلوكية لأنها توقرت على كم هائل من الشواهد ورأينا أنّها مجّدت القيم الأخلاقية والوطنية والعقلية والإنسانية وتوجد قيم أخرى لم أدرسها في هذا المبحث ويمكن أن تكون موضوع بحث آخر كالقيم الصحية والفنية. وإن هذه القيم الجماعية تساعد في تنشئة المتعلمين على حبّ الفضائل من جهة و في إسعادهم والإعلاء من شأنهم من جهة أخرى.

ولا ننسى أنّ هذه القيم الموجهة للتلميذ تستوجب مراعاة تطوّرات العصر فالتدريس أصبح مرتبطا بتطوّر العلوم والتقنيات دون التخلّي عن توجيهه وإرشاده وتأطيره ارتباطا بالأهداف التربوية طبعاً لابتكار طرق جديدة تتماشى مع احتياجاته النفسية والفكرية لذلك نرى:

- ضرورة مراجعة منظومة القيم لنحافظ على الأصيل منها ونبحث عن الجديد أي لا بدّ من تطوير مناهج التربية لمواكبة المستجدات والتطورات.

- ضرورة ربط مناهج التعليم بما هو ثقافيّ لتنمية حبّ التفاعل لدى المتعلمين.

- عدم الاقتصار على برنامج التدريس وضرورة برمجة ندوات فكرية تحسيسية تطبيقية لممارسة بعض القيم التثقيفية الجمالية الإنسانية وعدم الاكتفاء بالجانب النظري فحسب كي يؤمن بدوره الاجتماعيّ في صيانة البيئة والمحيط.

- العمل على جعل المتعلم فاعلاً في بعض الأنشطة التربوية لحمايته من مخاطر أخرى تهدّد كيانه ومجتمعه.

- ضرورة القيام بقراءات تقييمية نقدية لمحتوى البرامج والبحث عن حلول ناجعة للفئة التي لم يسعها النجاح ومحاولة إدماجهم في فضاءات تربوية لغايات إصلاحية.

- التشجيع على انجاز الدراسات والبحوث البيداغوجية التي تهتمّ بالتربية والتعليم.

قائمة المصادر والمراجع:

١: المصادر:

* سفر البرامج الرسمية

* الكتاب المدرسي:

- آفاق أدبية لتلاميذ السنة الأولى من التعليم الثانوي: المركز الوطني البيداغوجي

- الكتاب المدرسيّ عيون الأدب لتلاميذ السنة الثانية من التعليم الثانوي من التعليم

- كتاب النصوص لتلاميذ السنة الثالثة من التعليم الثانوي: آداب

- كتاب النصوص " علامات " لتلاميذ السنة الثالثة من التعليم الثانوي: شعب علمية

- كتاب النصوص لتلاميذ السنة الرابعة من التعليم الثانوي: آداب

- كتاب النصوص " رؤى " لتلاميذ السنة الرابعة من التعليم الثانوي: شعب علمية.

٢: المراجع:

- التربية على القيم في التعليم الثانوي الإعدادي: اللّغة العربية نموذجاً، عز الدين المعتصم: مجلّة علوم التربية.

- دور اللّغة العربية وأثرها في مجال التربية والتعليم، د هلال محمّد علي السفيني، مجلّة الأندلس للعلوم الإنسانية

والاجتماعية، العدد ٩٠ مارس ٢٠٢٤

- دلالة النصّ وعلاقته بالقيم التربوية، أ، عمر بوشنة جامعة الجزائر، مجلّة آفاق علمية العدد ١٢، ديسمبر ٢٠١٢

- القيم التربوية المتضمنة في كتاب اللّغة العربية للصفّ الأول الثانوي بالمملكة العربية السعودية ، د زكية صالح

صالح المالكي.